معركة الشيطان

مع بني الإنسان

تأليف
وحيد بن عبد السلام بن بالي

دار ابن رجب



الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

الناشر

دار ابن رجب

المركز الرئيسي : فارسكور : ٠٥٧/٤٤١٥٥٠ - ٠١٢٣٨٣٠٣٥٦

فرع المنصورة : محطة الأتوبيس الدولية : ٠٥٠/٢٣١٢٠٦٨



مقدمة

الحمد لله وكفى وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ، وبعد

فهذه كلمات كتبتها عن طبيعة المعركة بين الإنسان والشيطان، ليكون المسلم على حذر من عدوه وليتخذ الوسائل المشروعة فى سبيل الدفاع عن نفسه ضد هجمات الشيطان الآثمة .

وأسأل الله تعالى أن يرزقنا الصدق والإخلاص فى القول والعمل ، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وكتبه /

وحيد بن عبد السلام بالى

منشأة عباس فى ٢٤ ذى القعدة ١٤٢١ هـ

من هو الشيطان ؟

يقول ابن جرير الطبرى : الشيطان فى كلام العرب كل متمرد من الجن ، والإنس ، والدواب ، وكل شئ .

قال : وكذلك قال ربنا جل ثناؤه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾[سورةالأنعام : ١١٢] ، فجعل من الإنس شياطين مثل الذى جعل من الجن ، ثم ساق بسنده عن أسلم العدوى - رضى الله عنه - أن عمر - رضى الله عنه - ركب برذونا فجعل يتبختر به ، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبختراً ، فنزل عنه وقال : ما حملتمونى إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسى . قلت : وسنده حسن ، والبرذون : هو الدابة [١] .

قال : وإنما سمى المتمرد من كل شيء شيطاناً ، لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله ، وبعده عن الخير [٢] .

(١) لسان العرب (١ / ٢٥٢) .
(٢) جامع البيان (١ / ٤٩) .

البداية

عندما خلق الله آدم عليه السلام، أمر الملائكة بالسجود جميعاً لأنهم: ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم :٦] ولكن كان هناك مخلوق يتعبد معهم وليس من جنسهم ، إذ أنهم خُلقوا من نور وهو خلق من نار ، فخانه أصله ساعة الابتلاء ، فأبى السجود لآدم متعللاً بأنه أشرف من آدم فقارن بين الأصول ولم يلتفت إلى الآمر بالسجود ، فقال : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] .

ويالِلعجب ! إنه يقر بأن الخالق هو الله ، بل يُقر بأن المحي والمميت هو الله ، حيث قال : ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف : ١٤] ولكن هل ينفع العلم بدون العمل ؟

كلا ، ثم كلا ، بل يكون وبالاً على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة ، وهنا صدر الأمر الإلهى بالطرد واللعن : ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ

الدّين ﴾ [سورة الحجر : ٣٤ ، ٣٥] ومن هنا تأصّلت العداوة بينه وبين آدم ففكر فى الانتقام والتشفى .

التخطيط العاجل

وهنا فكّر فى خطة ماكرة خبيثة فنطق على عجل : ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة الحجر : ٣٦] .

قال الأستاذ سيد قطب : « لقد طلب النظرة إلى يوم البعث ، لا ليندم على خطيئته فى حضرة الخالق العظيم ، ولاليتوب إلى الله ويرجع ويُكفّر عن إثمه الجسيم ، ولكن لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده ، ويربط لعنة الله له بآدم ، ولا يربطها بعصيانه لله » أ . هـ (١)

* **الأهداف المنشودة :** وبعد ما أطمئن لبقائه الى يوم البعث ، حين قال الله له : ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

(١) الظلال (٤ / ٢١٤١) .

وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾، [الحجر : ٣٧ـ ٤٠] بدأ يسرد تفاصيل الخطة ويفصح عن الأهداف المنشودة غير خائف ولاهياب فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (الحجر : ٣٩ ـ ٤٠) قال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ : ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ حدد عدته فيها (التزيين) ، تزيين القبيح وتجميله ، و (الإغراء) بزينته المصطنعة على ارتكابه ، وهكذا لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه من الشيطان مسحة تزينه ، وتجمّله ، وتظهره فى غير حقيقته وردائه ، فليفطن الناس الى عدة الشيطان .

وليحذروا كلما وجدوا فى أمر تزييناً ، وكلما وجدوا من نفوسهم إليه اشتهاء ، ليحذروا فقد يكون الشيطان هناك ، إلا أن يتصلوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فليس للشيطان ـ بشرطه هو ـ على عباد الله المخلصين من سبيل : ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١)

* **الهجمة الأولى** :لقد أخذ الشيطان على نفسه عهداً ليعادين بنى آدم أجمعين ومن هذا يقوم بالهجمة الأولى على الآدمي لحظة ولادته لينذره بالحرب ، فلا صلح ولاهوادة إنما هى حرب ضروس ، فعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله -ﷺ- قال : « **كُلُّ بَنى آدَمَ يُطْعَنُ فى جَنْبَيْه بإصبَعَيْه حينَ يولَدُ غيْرَ عيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فى الحجَاب** » . (٢)

ولذلك يستهلّ المولود صارخاً من طعنة الشيطان، فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله قال : « **مَـا منْ مَوْلُود يُولَدُ إلا نَخسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهل صارخاً منْ نَخْسَة الشَّيْطَان إلا ابْنَ مَرْيَمَ وأمَّهُ** » ، ثم قال : أبو هَريرةَ اقرأوا إنَ شئتم : ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ متفق عليه (٣).

---

(١) الظلال (٤ / ٢١٤١)

(٢) رواه البخارى (٦ / ٣٣٧ فتح) .

(٣)رواه البخارى (٨ / ٢١٢ فتح) ومسلم (١٥ / ١٢١ نووى) .

الفرق بين عداوة الشيطان وعداوة الإنسان

قال الله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف : ١٩٩ ـ ٢٠٠] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون : ٩٦ ـ ٩٧]

وقال تعالى : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .

[سورة فصلت : ٣٤ ـ ٣٥] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (**فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة فى معناها ، وهو أن الله ـ تعالى ـ يأمر بمصانعة العدو الإنسى والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى**

الموالاة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطانى لا محالة ، إذ لايقبل مصانعة ولا إحسانا ، ولا يبغى غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين آدم من قبل) . أ . هـ [١]

التشكيك فى التوحيد

إن التوحيد هو أساس الإسلام وصرحه الشامخ ، وهو السر فى انتصارات المسلمين الأُول ، وعليه قامت الإمبراطورية الإسلامية لأنه هو الذى يصنع الرجال ، وعليه مدار الإسلام ، ولهذ كانت معظم هجمات الشيطان موجهة نحو هذا الأساس وذلك الصرح ، ففى الصحيحين، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَأْتِى الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولُ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بالله ، ولْيَنتَهِ** » اللفظ للبخارى [٢] .

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٣) .
(٢) رواه البخارى (٦ / ٣٣٧ فتح) ، ومسلم (٢ / ١٥٣ نووى) .

عُقَدُ الشيطان، وكيفية حلها

روى البخارى ومسلم، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: « **يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذا هُوَ نَائِمٌ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى مَكَانِ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فإذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ** »(١).

قال النووى ـ رحمه الله ـ: (واختلف العلماء فى هذه العقد فقيل هو عقد حقيقى، بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر فى تثبيط النائم كتأثير السحر.

وقيل: يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات فى العقد.

(١) رواه البخارى (٣ / ٢٤ فتح) مسلم (٦ / ٦٦ نووى).

وقيل : هو من عقد القلب وتصميمه ، فكأنه يوسوس فى نفسه ويُحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام ، وقيل : هو مجازى كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل) أ . هـ [١] .

قال الحافظ : (وقوله « **يَضْرِبُ** » : أى بيده على العقد تأكيداً وإحكاماً لها قائلاً ذلك) أ . هـ [٢] .

قلت : ولذلك يُسمى بعض الناس هذا الحديث حديث الضرب على القفا ، وهذه الصفات الثلاث لاينالها إلا الغافل الذى ينام دون أن يذكر الله ، أو دون أن يقرأ آية الكرسى . فإذا قال قائل : إن لفظ الحديث عام فى الغافل وغيره . نقول : إن عموم هذا الحديث مخصص بحديث أبى هريرة فى قراءة آية الكرسى عند النوم ، وإلى هذا مال الحافظ فقال : (يمكن أن يقال يختص بمن لم يقرأ آية الكرسى لطرد الشيطان) أ . هـ [٣]

قال النووى : « فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ »: معناه

---

(١) شرح مسلم (٦ / ٦٥) .
(٢) فتح البارى (٣ / ٢٥) .
(٣) فتح البارى (٣ / ٢٧) .

لسـروره بما وَفقَّـه الله الكريم له من الطاعـة ، ووعـده به من ثوابه، مع مايبارك فى نفسه وفى تصرفه فى كل أموره ، مع مازال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه) أ. هـ (١).

قال الحافظ : (والذى يظهر أن فى صلاة الليل سراً فى طيب النفس وإن لم يستحضر المصلى شيئاً من ذلك) أ. هـ (٢).

قلت : وهو الحق ، ولايشعر بذلك إلا من ذاق حلاوته وآنس قرب الله فى هذه اللحظات .

قال النووى : « وَأَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلانَ » : معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تَثبيطه واستيلائه ، مع أنه لم يُزِل ذلك عنه .

قال : وظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة، وهى : الذكر ، والوضوء ، والصلاة، فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان . أ . هـ (٣).

---

(١)شرح مسلم (٦ / ٦٦).
(٢) فتح البارى (٣ / ٢٦).
(٣) شرح مسلم (٦ / ٦٧).

قال الحافظ : ذكر شيخنا الحافظ أبو الفضل بن الحسين الترمذى : أن السِّر فى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين المبادرة إلى حل عقدة الشيطان (١).

قلت : وهذا ملحظ جيد لولا ما يعكر عليه من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ (**ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة ، يُصلى أربعاً فلاتسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلاتسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى ثلاثاً**) (٢).

وهدف الشيطان من هذا كله تثبيط العبد عن قيام الليل ، وضرب الكسل عليه ، حتى يتمكن من الاستيلاء عليه طوال يومه ، وهذه من المكائد الخبيثة التى يكيد بها الشيطان للإنسان ولكن كيف تبطل هذه المكيده ؟

● **بالوضوء قبل النوم** : لما ثبت فى الصحيحين : أن

(١) فتح البارى (٣ / ٢٧).
(٢) أخرجه البخارى (٣ / ٣٣ فتح) ومسلم (٦ / ١٧ نووى).

رسول الله ـ ﷺ ـ قال للبراء بن عازب : « **إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ** »(١).

● **أن توتر قبل النوم**: لما جاء عن ابن عمر : أنه قال : (**ماأصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعاً**) قال الحافظ : رواه سعيد بن منصور بسند جيد(٢) .

أما إذا كنت تقوم قبل الفجر فتوتر فبها ونعمت .

والجرير : هو الحبل الذى يُخطم به البعير(٣) فكأن الشيطان أمسك بزمامه فهو يوجهه حيثما شاء .

● **تجمع كفيك وتقرأ فيها المعوذات ، ثم تنفث فيهما ، ثم تمسح بهما ما استطعت من جسدك بادئاً برأسك** : وهذا ثابت فى صحيح البخارى من حديث عائشة (٤)

● **تقرأ الآيتين الأخريتين من سورة البقرة** : لما جاء فى

---

(١) رواه البخارى (١ / ٣٥٧ فتح) ومسلم (١٧ / ٣٢ نووى) .
(٢) فتح البارى (٣ / ٢٥) .
(٣) لسان العرب (١ / ٥٩٢) .
(٤) البخارى (١١ / ١٢٥ فتح) .

الصحيحين من حديث أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « **الآيَتَان مِنْ آخرِ سُورَةِ البَقَرةِ مَنْ قَرأهُمَا فى لَيلَة كَفَتَاهُ** » . (١)

قال النووى : (قيل : معناه كفتاه من قيام الليل ، وقيل : من الشيطان . وقيل : من الآفات ويحتمل الجميع)[٢] أ . هـ .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ (الصحيح كفتاه شر ما يؤذيه) . أ . هـ[٣] قلت : وهل هناك أذى للإنسان أعظم من تسلّط الشيطان عليه؟ فيتناوله من باب أولى .

● **تقرأ آية الكرسى بتدبر وتفهم** : فهى تحفظك من الشيطان حتى تصبح ، وهذا ثابت فى البخارى من حديث أبى هريرة ، وفى الترمذى من حديث أبى أيوب ، وابن حبان من حديث أبى بن كعب .

(١) رواه البخارى (٧ / ٣١٨ فتح) ومسلم (٢ / ٩٢ نووى) .
(٢) شرح مسلم (١١ / ١٢٥ فتح) .
(٣) الوابل الصيب (٩١) .
(٤) سنن الترمذى (٥ / ١٤٢) .

● **تسبح ثلاثاً وثلاثين ، وتحمد ثلاثاً وثلاثين ، وتكبر أربعاً وثلاثين** : وهذا ثابت فى الصحيحين من حديث على ـ رضى الله عنه ـ .(١)

● **تضع يدك اليمنى تحت خدك الأيمن ، وتنام على جنبك الأيمن ، وتقول : باسْمكَ رَبِّى وَضَعْتُ جَنْبى وَبِكَ أرْفَعُه إن أمْسكْتَ نَفْسى فَارْحَمْهَا ، وإنْ أرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحفَظُ به عبادكَ الصَّالحين** (٢)

● ثم يقول « **بسْمِ اللَّه وَضَعْتُ جَنْبى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لى ذَنْبى ، وَاخْسئْ شَيْطَانى ، وفُكَّ رِهَانى ، وَاجْعَلْنى فى النَّدى الأَعْلَى** » قال النووى : رواه أبو داود بإسناد حسن.(٣)

● **ثم تذكر الله حتى يغلبك النوم**: فعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذَا أوَى الإنْسَانُ**

---

(١) رواه البخارى (١١ / ١١٩ فتح) ومسلم (٧/ ٤٦ نووى) .
(٢) رواه البخارى (١١ / ١٢٦ فتح) ، ومسلم (١٧ / ٣٧ نووى) .
(٣) الأذكار (٧٧) .

إلى فراشه ابتدرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ ، فَيَقُولُ الملَكُ : اخْتمْ بخَيْر ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ : اخْتمْ بشَرٍّ فإذا ذَكَرَ اللَّه حَتَّى يَغْلبَهُ - يَعْنى النَّوْمَ - طَرَدَ الملَكُ الشَّيْطَانَ - وبَاتَ يكْلَؤُهُ - أى يَحْرُسُهُ - فإذا اسْتَيقَظَ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ فَيَقُولُ الملكُ : افْتَحْ بخَيْر ، ويَقُولُ الشَّيْطَانُ : افْتَحْ بشَرٍّ ، فَإنْ قَالَ : الحَمْدُ للَّه الَّذى أحْيَا نَفْسى بَعْدَ مَوْتهَا ، ولَمْ يمتهَا فى مَنَامهَا ، الحَمْدُ للَّه الذى يُمْسكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْض أن تَزُولا ، وَلَئنْ زَالَتَا مَا أمْسَكَهُمَا منْ أحَد منْ بَعْده . الحَمْدُ للَّه الذى يُمْسكُ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأرْض إلَّا بإذْنه ، طَرَدَ الملَكُ الشَّيْطَانُ وَظَلَّ يَكْلَؤُهُ » صححه الحاكم ، ووافقه الذهبى .



استهزاء الشيطان بمن أهمل قيام الليل

إذا نام الإنسان حتى يصبح ولم يقم شيئاً من الليل ، ازداد عليه الشيطان تسلطاً ، ويتضح ذلك مما ورد فى الصحيحين ، عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : ذكر عند رسول الله - ﷺ - رجل نام حتى أصبح ، قال : « **ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِى أُذُنَيْه أوْ فِى أُذُنِه** » (١)

قال الحافظ : واختُلف فى بول الشيطان ، فقيل هو على حقيقته . قال القرطبى وغيره : « لا مانع من ذلك إذ لا إحالة(٢) فيه ، لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب ، وينكح فلا مانع من أن يبول » .

وقيل : هو كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر .

(١) روى البخارى (٣/ ٢٨ فتح) ، ومسلم (٦/ ٦٤ نووى) .
(٢) لاإحالة فيه : أى هذا جائز غير مستحيل .

وقيل : معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر .

وقيل : هو كناية عن ازدراء الشيطان به .

وقيل : إن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعدّ للبول ، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه أ . هـ [1]

روى الإمام أحمد عن الحسن البصرى قال : (**إن بوله والله لثقيل**) وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ . (**حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح ، وقد بال الشيطان فى أذنه**) رواه محمد بن نصر ، وقال الحافظ : صحيح الإسناد [2]

---

(١) فتح البارى (٣ / ٢٨) .

(٢) فتح البارى (٣ / ٢٩) .

تنغيصُ النومِ وتحزينُ المسلم

ومن مكائده أعاذنا الله منه: أنه يُرى الإنسان فى منامه أحلاما مزعجة، كى يحزنه ويؤلمه، فقد روى مسلم فى صحيحه، عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: جاء أعرابى إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: يارسول الله، رأيت فى المنام كأن رأسى ضرب، فتدحرج فاشتددتُ على أثره، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ للأعرابى: « **لاتُحَدثُ النَّاسَ بتَلَعُّب الشَّيْطَان بكَ فى مَنَامكَ** » (١).

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ مرفوعا « **الرُّؤْيَا ثَلاثَةٌ فالرُّؤْيَا الصَّالحَةُ بُشْرَى منَ اللَّه، ورُؤْيَا تَحْزين منَ الشَّيْطَان، ورُؤْيَا ممَّا يُحَدِّثُ الْمرْءُ نَفْسه، فَإنْ رأى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ، فَلْيُصَلِّ، ولا يُحَدِّثُ بهَا النَّاسَ** » (٢). وفى الصحيحين من حديث أبى قتادة ـ رضى الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: « **الرُّؤْيَا الصَّالحَةُ منَ**

(١) رواه مسلم (١٥ / ٢٧ نووى)، وابن ماجة (٢ / ١٢٨٧).
(٢) رواه البخارى (١٢ / ٤٠٤ فتح) ومسلم (١٥ / ٢١ نووى).

اللَّه ، والحُلْمُ منَ الشَّيْطَان . فَمَنْ رَأى شَيْئاً يكْرَهَهُ فَلْيَنفُثْ (١) عَنْ شمَاله ثَلاثاً ، وَلْيَتَعَوَّذْ منَ الشَّيْطَان فَإنَّها لاتَضرُّهُ » (٢) .

وبجمع طرق هذا الحديث يتبين أن للرؤيا آداباً يُستحب للمسلم اتباعها إذا كانت الرؤيا صالحة : يحمد الله عليها ، ويستبشر بها ، ويحدث بها من يحب دون من يكره .

وإذا كانت الرؤيا مكروهة : يتعوذ بالله من شرها ، ومن شر الشيطان ، وأن يتفل (٣) عن يساره ثلاثاً ، ولا يذكرها لأحد ، ويتحول عن جنبه ، ويقوم فيصلى .

قال الحافظ : قد ذكر العلماء هذه الأمور ، فأما الاستعاذة من الشيطان : فلما وقع فى بعض طرق الحديث أنها منه ، وأنه يُخيل بها لقصد تحزين الآدمى والتهويل عليه .

وأما التفل : فقال عياض : أمَرَ به طرداً للشيطان الذى حضر الرؤيا المكروهة وتحقيراً له ، واستهزاءً ، وخصت به اليسار ، لأنه محل الأقذار ونحوها .

(١) النفث : هو تفل بدون ريق .
(٢) رواه البخارى (١٢ / ٣٨٣ فتح) ومسلم (١٥ / ١٦ نووى) .
(٣) يتفل : يبصق بصقاً خفيفاً .

وأما التحول : فللتفاؤل بتحول تلك الحال التى كان عليها .

وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله ، واللجوء إليه . أ . هـ مختصراً [(1)] .

أما صفة الاستعاذة فقد قال إبراهيم النخعى :

إذارأي أحدكم فى منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ(**أَعُوذُ بِمَا عَاذَتْ به مَلائكَةُ الله وَرُسُله منْ شَرِّ رُؤْيَايَ هَذه أنْ يُصيبنى منْهَا ما أكْرَهُ فى دينى وَدُنْيَاي**) قال الحافظ : أخرجه سعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة وعبد الرزاق ب، أسانيد صحيحة [(2)] .

قال النووى : (وأما قوله « فَإِنَّهَا لاَتَضُرُّهُ » فمعناه : أن الله تعالى جعل هذا سبباً لسلامته من مكروه يترتب عليها ، كما جعل الصدقة وقاية للمال وسبباً لدفع البلاء) أ . هـ [(3)] .

(١(فتح البارى (١٢ / ٣٧١) .
(٢) فتح البارى (١٢(٣٧١)
(٣) شرح مسلم (١٥ / ١٨) .

الشيطان يضحك من المتثائب

وذلك لأن التثاؤب ينشأ عن الكسل ، فيكون المتثائب فى حالة لا يستطيع معها أن يؤدى الطاعات على أكمل وجه ، ومما يضحك الشيطان أن المتثائب يكون فى منظر غير جميل، ولذلك يقول الرسول ـ ﷺ ـ : « **إنَّ اللَّهَ يُحبُّ العُطَاسَ، ويَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ ، فَإذَا عَطَسَ فَحَمدَ اللَّه فَحَقٌّ عَلَى كَلِّ مُسْلم سَمعَهُ أنْ يُشَمِّتَهُ**[1] **وأمَّا التَّثَاؤُبَ فَهُوَ منَ الشَّيْطَان فَلْيَرُدُّهُ مَا استَطَاعَ فَإذَا قَالَ : هَا ضَحكَ منْهُ الشَّيْطَانُ** »[2]

وفى سنن ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعاً : « **إذَا تَثَاءَبَ أحَدُكُمْ فَلْيَضَعَ يَدَهُ عَلَى فيه ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَضحَكُ منْهُ** »[3]

(١) يشمته : أى يقول له يرحمكم الله ، فيرد العاطس ويقول : يهديكم الله ويصلح بالكم .
(٢) رواه البخارى (٦ / ٣٣٨ فتح) ، ومسلم (١٨ / ١١٢ نووى) بنحوه .
(٣) سنن ابن ماجه (١ / ٦١٢) .

قال الحافظ : (**شبه التثاؤب الذى يسترسل معه بعواء الكلب تنفيرا عنه واستقباحاً له**) . فإن الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه ويعوى . والمتثاؤب إذا أفرط فى التثاؤب شابهه .

قال : ومن هنا تظهر النكته فى كونه يضحك منه لأنه صيره ملعبة له بتشويه خلقه فى تلك الحالة » . (١)

وفى صحيح مسلم ،عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال « **إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسكْ بيَده عَلَى فيه ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ** » . (٢)

قال الحافظ : (يحتمل أن يراد به الدخول حقيقة ، وهو وإن كان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكرا لله تعالى ، والمتثائب فى تلك الحالة غير ذاكر ، فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة ، ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه لأن من

(١) فتح البارى (١٠ / ٦١٢) .
(٢) مسلم (١٨ / ١٢٢ نووى) ورواه الدارمى أيضاً (١ / ٣٢١) .

شأن من دخل فى شيء أن يكون متمكناً منه) أ . هـ [1].

قال النووى : (قال العلماء : أمر بكظم التثاؤب ورده ووضع اليد على الفم لئَلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه وضَحكه منه) أ . هـ [2]

ومن الجميل هنا أن نذكر ما رواه ابن أبى شيبة ، والبخارى فى التاريخ من مرسل ابن الأصم ، قال : ماتثائب النبى ـ ﷺ ـ قط [3]!



(١) فتح البارى (١٠ / ٦١٢) .
(٢) شرح مسلم (١٨ / ١٢٣) .
(٣) فتح البارى (١٠ / ٦١٢) .

أين يبيت الشيطان؟

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « **إذَا اسْتَيْقَظَ أحَدُكُمْ منْ مَنَامه ، فَلْيَسْتَنْثرْ ثَلاثَ مَرَّات فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَبيتُ عَلَى خَيَاشيمه** » اللفظ لمسلم[1] و(الخيشوم) : الأنف . و(الاستنثار) : هو إخراج الماء من الأنف بعد استنشاقه والمقصود هو تنظيف الأنف من الداخل .

قال القاضى عياض ـ رحمه الله ـ : يحتمل أن يكون قوله ـ ﷺ ـ : « **فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَبيتُ عَلَى خَيَاشيمه** »، على حقيقته ، فإن الأنف أحد منافذ الجسم التى يتوصل إلى القلب منها .

قال : ويحتمل أن يكون على الإستعارة، فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخاشيم قذارة توافق الشيطان »[2] أ . هـ

(١) صحيح مسلم(٣/ ١٢٧ نووى) .
(٢) شرح النووى لمسلم (٣/ ١٢٧) .

قال الحافظ : ظاهر الحديث أن هذا لكل نائم ، ويحتمل أن يكون مخصصاً بمن لم يحترز من الشيطان بشئ من الذكر كحديث أبى هريرة الذى فيه : «**فكانت له حرزاً من الشيطان**» وحديث آية الكرسى وفيه « **ولا يقربك شيطان** » ويحتمل أن يكون المراد بنفى القرب هنا : لايقرب من المكان الذى يوسوس فيه وهو القلب فيكون مبيته على الأنف ليتوصل منه إلى القلب إذا استيقظ . أ هـ[1]

من خطط الخبيثة

روى الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : (إن الشيطان طاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم، فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا ، فقام أهل الذكر فحجروا بينهم ، فتفرقوا)

---

(١) فتح البارى (٦ / ٣٤٣) .

بعثُ الشيطان جنودَه لفتنةِ الناس

روى مسلم، عن جابر قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «إنَّ إبْليسَ يَضَعُ عُرشَهُ عَلَى الماء ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ ، فَأدْنَاهُمْ منهُ مَنْزِلَةً أعْظَمَهُمْ فِتْنَةً ، يَجيءُ أحَدُهُمْ ، فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وكَذَا ، فيقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا . قَالَ : ثُمَّ يَجيءُ أحَدُهُمْ ، فَيَقُولُ : مَاتَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأته ، قَالَ : فَيُدْنيه منْهُ ، وَيَقُولُ : نعْمَ أنْتَ » قال الأعمش : « أراه قال : فَيَلْتَزمَهُ »(١) .

عن أبى موسى الأشعرى، قال : « إذَا أصبَحَ إبْليسُ بَثَّ جُنُودَهُ فى الأرْضَ ، فَيَقُولُ : مَنْ أضَلَّ مُسْلماً ألْبَسْتُهُ التَّاجَ ، فَيَقُولُ لَهُ القَائلُ : لَمْ أزَلْ بفُلان حَتَّى طَلَّقَ امْرَأتَه قَال : يُوشكُ أنْ يتَزَوَّجَ ، ويَقُولُ آخَرُ : لمْ أزَلْ بفُلان حَتَّى زَنَى . قَالَ : أنْتَ ! ويَقُولُ آخَرُ : لَمْ أزَلْ بفُلان حَتَّى شَرب الخمر . قَالَ : أنْتَ : ويَقُولُ آخَرُ : لَمْ أزَلْ بفُلانَ حَتَّى قَتَل ، فَيَقُولُ أنْتَ أنْتَ ! »(٢) . رواه أحمد وابن حبان وصححه الألبانى .

---

(١) رواه مسلم (١٧ / ١٠٧ نووى) .

(٢) صححه الألبانى فى الصحيحة برقم (١٢٨٠) .

الوسوسة دليلُ عجز الشيطان

إن الشيطان يتلاعب بالكافر تلاعباً ، ويغويه ويقوده إلى الفساد فى الأرض ، ويريد أن يفعل ذلك بالمؤمن فيعجز ، ولايستطيع إلا الوسوسة لا يزيد عليها ، ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة ، قال : « **تلْكَ مَحْضُ الإيمَان**»(١) رواه مسلم .

وجاء أناس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : « **وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ** » ، قالوا نعم ، قال : « **ذَاكَ صَرِيحُ الإيمَان** » (٢) . رواه مسلم .

قال النووى ـ رحمه الله ـ : « **ذَاكَ صَرِيحُ الإيمَان** » ، «و**مَحْضُ الإيمَان** » معناه : استعظامكم الكلامَ به هو صَريح الإيمان . فإن اسَتعظام هذا ، وشدة الخوف منه ومن النطق به ، فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً ، وانتفت عنه الريبة والشكوك .(٣)

(١) رواه مسلم (٢ / ١٥٣ نووى) .
(٢) رواه مسلم (٢ / ١٥٣ نووى) .
(٣) شرح مسلم (٢ / ١٥٤ نووى) .

الوسوسة فى الصلاة

روى مسلم فى صحيحه، عن أبى العلاء: أن عثمان بن أبى العاص أتى النبى -ﷺ- فقال: إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى، وقراءتى يُلبِّسها على، فقال رسول الله -ﷺ-: « **ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خنْزَبٌ، فَإِنْ أَحَسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّه مِنْهُ، وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاثاً** » قال: ففعلت، فأذهبه الله عنّى. (١)

تنبيه: أورد الغزالى فى الإحياء (٢) هذا الحديث عن عمرو بن العاص، وتبعه على ذلك دكتور السيد الجميلى، (٣) وهو غلط فتنبه.

وفى الصحيحين، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: « **إن أَحَدَكُمْ إذا قَامَ يُصَلِّى جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَلَبَّسَ عَلَيْه، حَتَّى لايَدْرِى كَمْ صَلَّى، فَإذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْن وَهُوَ جَالسٌ** ». (٤)

واعلم: أن الشيطان يدخل على المصلى من بابين لاثالث لهما:

المدخل الأول: ما يتعلق بالحواس الظاهرة: كمن يصلى

(١) رواه مسلم (١٤ / ١٩٠ نووى). (٢) الإحياء / ١٣٨٧.
(٣) فى كتابه السحر وتحضير الأرواح ٨٥.
(٤) البخارى (٣ / ١٠٤ فتح) ومسلم (٥ / ٧٥) نووى).

وهو يسمع صوتاً عالياً ، فيشغله عن صلاته ، ومن يقع نظره أثناء الصلاة على شئ يعجبه كزخرفة وغيره ، وهذا الباب إنما يُسد بقطع تلك العوائق والشواغل ، وذلك لما لَبس رسول الله ـ ﷺ ـ الخميصة التى أهداها إليه أبو جهم ، وعليها علَم ، وصلى بها نزعها بعد صلاته ، وقال : « **اذْهَبُوا بهَا إلى أبى جَهْمٍ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنى آنفاً عَنْ صَلاتى ، وائتُونى بأَنْبجَانية أَبى جَهْمٍ** » متفق عليه ، من حديث عائشة ـ رضىَ اللَّه عنها ـ .

وروى النسائى ، من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان على المنبر ، وفى يده خاتم ، فرماه ، وقال «**شَغَلَنى هَذَا نَظْرَةٌ إلَيْه ونَظْرَةٌ إليكُمْ** » (١) قال العراقى : سنده صحيح .

ولذلك كره العلماء زخرفة المساجد ، لأنها تُلهى المصلى عن الصلاة ، فقد روى ابن خزيمة فى صحيحه : أن عمر أمر ببناء المساجد فقال : (**أكن الناس من المطر ، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس**)وعلقه البخارى ـ رحمه الله ـ (٢) . وقال الإمام أحمد :

(١) رواه النسائى وصححه الألبانى فى صحيح النسائى (٤٨٨٣) .
(٢) البخارى (١ / ٥٣٩ فتح) .

(ولا يكتب فى القبلة شيء، لأنه يُشغل قلب المصلى) . (١)

أما المدخل الثانى : فهو مايتعلق بالقلب فمن أشرب قلبه حب الدنيا ، فلايمكن أن يتخلص منها لا فى الصلاة ولا فى غيرها لأن من أحب شيئاً أكثر من التفكير فيه ، فتراه فى الصلاة يقوم ، ويقعد ، وينحنى ، ويسجد ، وقلبه بالدنيا مشغول ، ومن فكرة إلى أخرى .

ولعمر الله ، إن هذا المدخل عظيم لايكاد ينفك عنه إلا من وفقه الله ، وليس له علاج إلا معرفة قدر الدنيا وحقارتها ، وأن نكثر من قول : (**اللهم اجعل الدنيا فى أيدينا، ولاتجعلها فى قلوبنا**) وأن نتذكر هيبة الله أثناء الوقوف أمامه ، فهو الذى قصم الفراعنة ، وانحنت له رقاب الجبابرة .

النسيانُ من الشيطان

قال الدكتور الأشقر : ومن ذلك مافعله بآدم ، فمازال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ربه : ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن**

(١) المغنى : (٢ / ٧٣) .

قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٥] .

وقال صاحب موسى ـ عليه السلام ـ : ﴿**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾ [سورة الكهف : ٦٣] .

ونهى الله رسوله أن يجلس هو أو أحد من أصحابه فى المجالس التى يُستهزأ فيها بآيات الله ، ولكن الشيطان قد يُنسى الإنسان مراد ربه منه ، فيجالس هؤلاء المستهزئين : ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [سورة الأنعام : ٦٨] .

وطلب النبى يوسف ـ عليه السلام ـ من السجين الذى ظن بأنه سينجو من القتل ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه ، وأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبى الله يوسف ، فمكث يوسف فى السجن بضع سنين : ﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾ [سورة يوسف : ٤٢] .

وإذا تمكن الشيطان تمكناً كلياً فإنه ينسيه الله

بالكلية ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [سورة المجادلة : ١٩] والمراد بهؤلاء المنافقون كما تدل عليه الآية السابقة لهذه الآية ، وسبيل التذكر هو ذكر الله لأنه يطرد الشيطان ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [سورة الكهف : ٢٤] أ . هـ (١)

إشعالُ العداوةِ بينَ الناس

وهذا هدف من أهداف الشيطان الخبيثة ، يسلك إليه كل طريق ويتخذ له كل وسيلة ومن هذه الوسائل الخمر ، فإنها تزيل العقل ، وتفقد التوازن ، وعندئذ يتمكن الشيطان من الإنسان ، فيقوده إلى ما يريد ، فقد رويً البيهقى بسنده ، عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال :

(اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية ، فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة ، فدخل معها فطفقت كلما

(١) عالم الجن والشياطين / ٧٠ .

دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إنى والله ، مادعوتك لشهادة ، ولكن دعوتك لتقع على ، أو تقتل هذا الغلام ، أو تشرب هذا الخمر . فسقته كأساً ، فقال : زيدونى فلم يرم حتى وقع عليها ، وقتل النفس) صحح ابن كثير سنده [١]

ومن هذه الوسائل أيضاً الميسر (القمار) : لأنها توقع العداوة بين الناس وتورث الحقد فى النفوس .

ومنها : (الأنصاب) التى تعبد من دون الله وهى وسيلة كبرى لتسلط الشيطان على الإنسان ، فيلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة ومن هذه الوسائل أيضاً : (الأزلام) : أى القداح التى يستقسم بها الكفار فى الجاهلية وهى تساوى فى زماننا هذا مايسمونه «الحظ» وكذا « الاستفتاح وهو فتح المصحف ، ثم النظر فيه ، فالآية التى تقع نظره عليها أنها حظه ، وهذا كله من عمل الشيطان ولذلك حذرنا الله منه بقوله : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ

(١)تفسير ابن كثير (٢ / ٩٧) .

الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٩٠ ـ ٩١] .

ومن تلك الوسائل أيضاً الكلمة فإنها أحياناً تُحمل على غير معناها فتوقع العداوة والبغضاء ، ولذلك أمرنا بالقول الحسن فقال سبحانه تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [سورة الرسراء : ٥٣] .

قال سيد قطب : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ على وجه الإطلاق وفى كل مجال ، فيختاروا أحسن مايقولوه . بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة ، فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تَفْلتُ ، وبالرد السيء يتلوها ، فإذا روح الود والمحبة والوفاق يشوبها الخلاف ثم الجفوة ، ثم العداوة ، والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب تُندى جفافها وتجمعها على الود الكريم [1] أ . هـ

(١) الظلال (٤ / ٢٢٣٤) .

وإذا انتقل بنا الحديث إلى الآداب النبوية وجدنا رسول الله ـ ﷺ ـ يسد كل ثغرة يدخل منها الشيطان . فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لايُشيرَنَّ أحَدُكُمْ إلى أخيه بالسّلاح ، فَإنَّهُ لايَدْرى لَعَلَّ الشَّيْطَانَ أنْ يَنْزِعَ فى يَده ، فَيَقَعَ فى حُفْرَةٍ من النَّار** » رواه البخارى ومسلم[1] .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **اتَّقُوا النَّارَ ، ولَوْ بشقِّ تَمْرَة فَمَنْ لَمْ يَجدْ فَبكَلمَة طَيِّبَة** » رواه البخارى ومسلم من حديث عدى بن حاتم [2]، وهذا كله إنما هو لسدِّ باب عظيم من أبواب الشيطان الرجيم، ألا وهو التحريش بين المسلمين وإشعال نار الفتنة بينهم ، فعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيسَ أنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فى جَزيرة العَرَب ، ولَكنْ فى التَّحْريش بَيْنَهُمْ** » رواه مسلم[3] .

---

(٢) الظلال (٤ / ٢٢٣٤) .

(١) رواه البخارى (٧٠٧٢) ومسلم (٢٦١٧) .

(٢) رواه البخارى (٦٠٢٣) ومسلم (١٠١٦) .

مكان الشيطان فى الإنسان

قال النبى ـ ﷺ ـ: « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ** »(١) متفق عليه .

وفى رواية أخرى : « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ**»(٢) متفق عليه .

قال الحافظ : (قيل : هو على ظاهرة ، وإن الله ـ تعالى ـ أقدره على ذلك ، وقيل : هو على سبيل الاستعارة من كثرة إغوائه ، وكأنه لايفارق كالدم فاشتركا فى شدة الاتصال وعدم المفارقة) أ . هـ(٣).

وقال ابن عباس : (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنس) أ . هـ(٤).

ومن هنا يتبين لنا : أن الشيطان يستطيع أن ينفذ فى جسم

---

(٣) رواه مسلم(٢٨١٢) .

(١) رواه البخارى (٤ / ٢٨٢ فتح) ومسلم (١٤ / ١٥٥ نووى) .

(٢) البخارى (٤ / ٢٧٨ فتح) مسلم (١٤ / ١٥٧ نووى) .

(٣) فتح البارى (٤ / ٢٨٠) .

الإنســان، ولذلك يختــار القلب مكاناً: لأنه هو القــائد والأعضاء جنوده، فإذا سيطر الشيطان على القلب خضعت الجوارح ،ولذلك يقول النبى ـ ﷺ ـ: « **ألاَ وَإنَّ فى الْجَسَد مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجسْمُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِىَ الْقَلْبُ** » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير (١) .

ولكن هناك قلوباً تحيط بها أسوار الإيمان وحصون التقوى ، وعليها حراس الذكر فلا يستطيع الشيطان أن يدخلها إلا خلسة فإذا دخلها قام حراس الذكر فطردوه خارج الحصون مذموماً مدحوراً .

قوة الإيمان تضعف الشيطان

قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعمر بن الخطاب : « **وَالَّذى نَفْسى بِيَده مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالكاً فَجاً، إلا سَلَكَ فَجاً غَيْرَ**

(٤) تفسير بن كثير (٤ / ٥٧٥) .

فَجَّكَ»[1] متفق عليه .

قال الحافظ[2] : فيه فضيلة عظيمة لعمر ، تقتضى أن الشيطان لا سبيل له عليه ، لا أن ذلك يقتضى وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه فى طريق يسلكها ، ولا يمنع ذلك من وسوسته بحسب ما تصل إليه قدرته ، فإن قيل : عدم تسليطه عليه بالوسوسة يأخذ بطريق مفهوم الموافقة لأنه إذا منع من السلوك فى طريقه فأولى ألا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان .

قال : ووقع فى حديث حفصه ، عند الطبرانى فى الأوسط بلفظ : « **إِنَّ الشَّيطَانَ لاَيَلْقَى عُمَرَ مَنْذُ أنْ أسْلَمَ إلا خَرَّ لِوَجْهِه** » أ . هـ

فانظر أخى المسلم إلى قوة الإيمان كيف تؤثر فى الشيطان حتى تصل إلى درجة الخوف والهروب .

وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : (**التقى**

---

(١) البخارى (١ / ١٢٦) ومسلم (١١ / ٢٨) .

(١) البخارى (٣٢٩٤) ومسلم (٢٣٩٦) .

شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاس ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك مهزول ؟ !

فقال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعاً ، وإذا ادهن سمى الله فأظل شعثاً ، وإذا لبس سمى الله فأظل عرياناً ، وإذا شرب سمى الله فأظل عطشاناً ، فقال : ولكنى مع رجل لايفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه)

وروى ابن أبى الدنيا ،عن قيس بن حجاج قال : (قال شيطانى : دخلت فيك وأنا مثل الجزور ـ أى البعير ـ وأنا فيك اليوم مثل العصفور، قال : قلت ولمَ ؟ قال : تذيبنى بكتاب الله) .

وقال أحد الصحابة كنت ردف النبى ـ ﷺ ـ على حمار ، فعثر الحمار فقلت تعس الشيطان ، فقال لي النبى ﷺ : (**لاتَقُلْ تَعسَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّكَ إذَا قُلْتَ تَعسَ الشَّيْطَانُ تَعَاظَمَ فِى نَفْسهِ، وَقَالَ : صرَعتُهُ بِقُوتِّى ، وَإِذَا قُلْتَ : بسْمِ اللّه تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسه حَتَّى يكُونَ أَصْغَرَ منْ ذُبَاب**) قالَ المنذرىَ رحمه الله : رَواه أَحَمد بإسناد جيد (١).

(٢) فتح البارى (٧ / ٤٧) .

مزاميرُ الشيطان

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ** » . رواه مسلم .

ولما كانت الشياطين تصحب الجرس تخلّت الملائكة عن الرفقة التى معها جرس ، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ** » (١) رواه مسلم .

الشيطانُ لحاسٌ

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **إنَّ الشَّيْطَانَ حَسَّاسٌ لَحَّاسٌ فَاحْذَرُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَمَنْ بَاتَ وَفِى يَدِهِ رِيحُ غَمَرٍ** (٢) **فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلا**

(١) رواه مسلم (١٤ / ٩٤ نووى) .
(٢) الغمر بالتحريك الدسم والزهونة من اللحم ، كالوضر من السمن ، أثر طعمه ورائحته .

نَفْسَهُ » رواه الترمذى [1] ، والحاكم كلاهما من طريق يعقوب ابن الوليد المدنى ، ويعقوب هذا قال الحافظ عنه : كذبه أحمد وغيره [2] .

قال المنذرى : « لكن رواه البيهقى ، والبغوى ، وغيرهما من حديث زهير بن معاوية ، عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، وحسنه البغوى وهو كما قال »[3] أ . هـ .

قلت : وروى الشطر الثانى من أبو داود[4] من طريق أحمد به يونس حدثنا زهير به ، وفى صحيح مسلم [5] ، عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال سمعت النبى ﷺ يقول : « **إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أحَدَكُمْ عنْدَ كُلِّ شَيْءٍ منْ شَأْنه ، حَتَّى يَحضُرَ عنْدَ طَعَامه . فَإِذَا سَقَطَتْ منْ أحَدكُمُ اللُّقْمَةُ فَلْيُمطْ مَا كَانَ بهَا منْ أذَىً ثُمَّ ليَأكُلْهَا ، ولايَدَعْهَا للشَّيْطَان ، فَإِذَا فَرغَ فَلْيَلْعَقَ أَصَابعَهُ ، فَإِنَّهُ لايَدْرِى فِى أىِّ طَعَامهَ تَكُونُ الْبَرَكَةُ** » .

---

(١) الترمذى (٣ / ١٩٠) .
(٢) تقريب التهذيب (٢ / ٣٧٧) .
(٣) الترغيب (٤ / ٢١٢) .
(٤) أبو داود (٣ / ٣٦٦) .
(٥) رواه مسلم (١٣ / ٢٠٧ نووى) .

وفي الصحيحين (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا** » .

الأسواق معركة الشيطان

قال سلمان (٢) : (**لاتكوننَّ إن استطعت أول من يدخل السوق ،ولاآخر من يخرج منها ،فإنها معركة الشيطان ،وبها ينصب رايته**) .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : شبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ، ونيله منهم بالمعركة ، لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش ، والخداع ، والأيمان الخائنة ، والعقود الفاسدة ، والبخس ، والبيع على بيع أخيه ، والشراء على شرائه ، والسوم على سومه ، وبخس المكيال والميزان .

قال : وقوله : (**بها تنصب رايته**) إشارة إلى ثبوته هناك ، أو اجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها فهي موضعه وموضع أعوانه أ . هـ (٣)

(١) رواه البخاري (٩ / ٥٧٧ فتح) ، ومسلم (١٣ / ٢٠٣ نووي) .
(٢) رواه مسلم (١٦ / ٧ نووي) .
(٣) شرح النووي (١٦ / ٧) .

خـــاتمة

نسألُ اللهَ - تبارك وتعالى -
أن يعصمَنَا من الشيطان
بفضلهَ ورحمتهِ فهو وليّ
ذلك والقادرُ عليه.

الفهرس

الموضوع	الصفحة